حكايات هذا الزمان

معركة.. كبيرة .... صغيرة

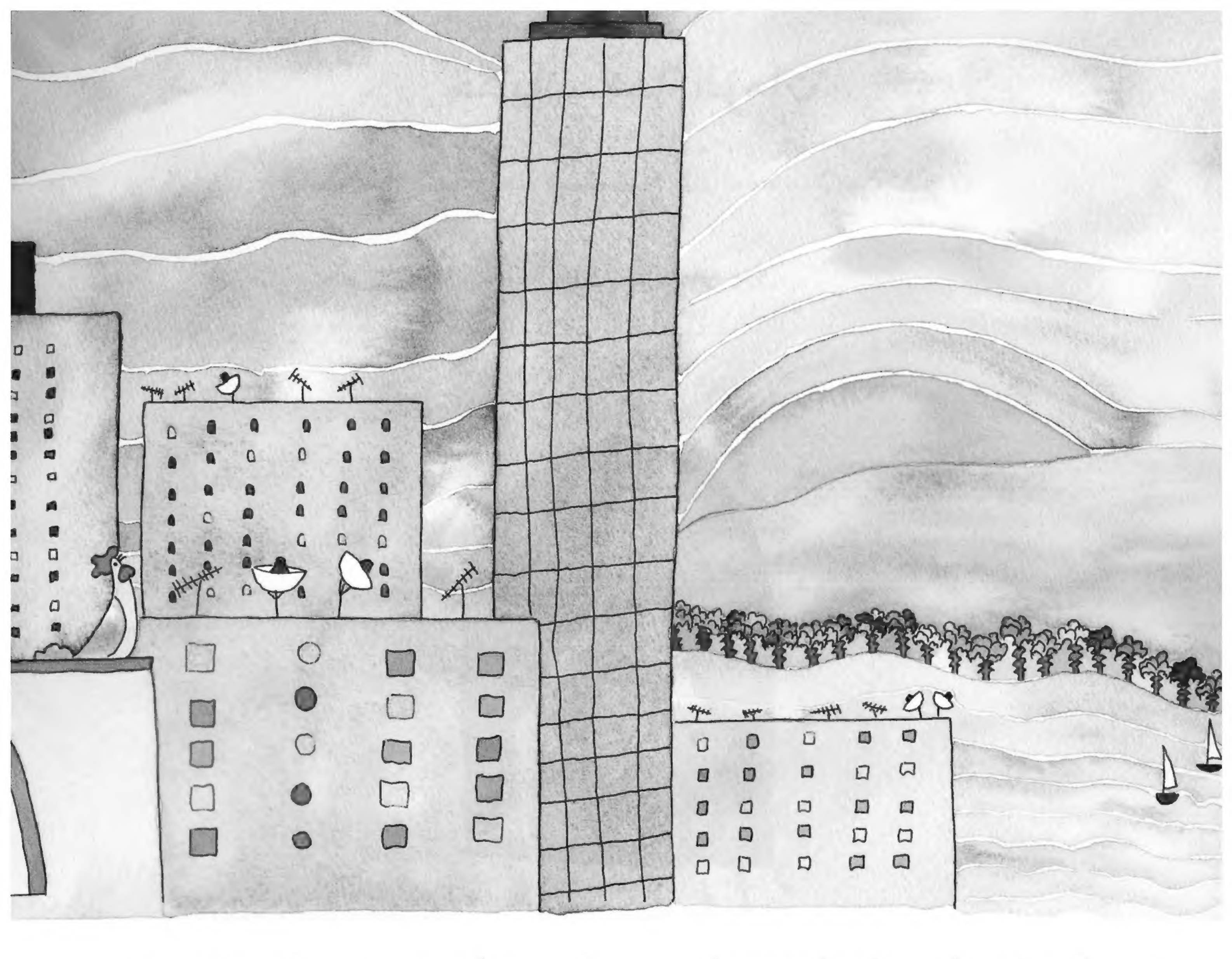
عبد الوهاب المسيرى

رسوم: صفاء نبعه



الطبعة الأولى 2000

دار الشروق : القاهرة ـ 8 شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية ـ مدينة نصر ـ ص. ب 33 البانوراما
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2000/4473
I.S.B.N : 977_09_0620_4
طبع بمطابع الشروق ـ القاهرة



كان نديمٌ جالسًا فى غُرفته، أمَّا بقيةُ الأطفالِ، نُور وياسرِ وظَريف، فكانُوا جالسينَ على سَطحِ المَنزل. وكان الديكُ حسنٌ يقفُ على السُّور ناظرًا إلى البُرجِ العالِي الذى ارْتَفع رأسُه إلى السَّحابِ، ومِن خَلْفه قِمَمُ الجبالِ التى بدأت الشمسُ تغوُص وراءَها.

قال ظريفٌ: "جميلةٌ هىَ الحياةُ! ورائعةٌ هىَ السماءُ!".



لَمْ يكنْ مِزاجُ ياسرٍ معتدلاً، إذْ قال: "هل ستُلقِي علينا قصيدةً، أيُّها الشاعرُ؟". أمَّا نور، فكانتْ متضايقةً لسببٍ لا تعْرفُه، فقالتْ: "إنْ كان الكلامُ من فضة، فالسكوتُ مِن ذهبٍ".

قال ظريفٌ: "فلْنَنْس الأحزانَ والضيقَ قليلاً، ولْيؤَلِّفْ كلٌّ مِنَّا قصيدةً". وقالتْ نور: "لا ؛ فلْنَسمع المُوسيقَى، أو لِنغَنِّ أغْنيةً". ثمَّ قال ياسرٌ: "بلْ فلْيَحْكِ كلٌّ منَّا قصةً، فأنَا أحِبُّ القِصصَ".



أخَذ الأطفالُ الثلاثةُ يتَجادلون فيما بيْنَهم، ثم اتَّفقُوا فى نهايةِ الأمرِ على أنْ يَحْكِيَ كلٌّ واحدٍ منهم قصةً. فقالتْ نورُ: "اتَّفقْنا. إذنْ، سأبدأ بقِصَّتى، فأنا متأكِّدةٌ أنَّها جميلةٌ وستُعجبُكم كثيرًا. ولكنَّ ياسرًا قال: "بل سأقصُّ أنا قِصتى، فأنا صاحبُ الاقتراحِ". وجَلس ظريفٌ حزينًا لا يتحدَّث، لأنَّه كان يَوَدُّ - هو الآخَر - أنْ يَحكىَ قِصتَه، وأخذُوا يتناقشُون فيما بيْنَهم مَرةً أخرَى.



طلبَ الأطفالُ مِن الديكِ حسَن أنْ يَكونَ حكَما بينَهم. فقَبِل هذه المُهمَّة الهَامَة، وقال:

"أعتقدُ أنَّه يُمْكنكم اتِّباعُ الترتيبِ الألِفْبائيِّ: ظريف، ثم نور، ثم ياسر". ولكنْ لمْ يَقبلْ هذا الاقتراحَ إلا ظريفٌ.

فاقتَرحَ عليهِم الديكُ حسن أنْ يَضربوا القُرعةَ. حينئذٍ فكَّروا قليلاً، ثم قالُوا: "هذه طريقةٌ مُتعِبة للأعصابِ".

فقال الديكُ حسن: "مِن الممْكن أن تبدءُوا بالأصغرِ سنّا فالأكبرِ، فالكِبارُ عُقلاءُ ويُمْكنهم الانتظارُ". فابتسمَ ياسرٌ، ورفضَتْ نور تماماً، لأنَّها كانتْ تَوَدُّ أن تقُص قصتَها أولاً.



فقال الديكُ حسن: "إذن، يُمْكن أن نَفعَل العكسَ، فنبدأ بالأكبرِ، فالأصْغرِ". فابتسمتْ نور، ولكنَّ ياسراً قال: "ولكنِّى أودُّ أن أبدأ فى قصِّ قِصتى".



فقال الديكُ حسن: "إذن نبدأ بالبناتِ ثُم البَنين". فرفضَ ياسرٌ وظريفٌ.

فقال: "إذن، بالبَنين ثم بالبناتِ". فرفضتْ نور.

فتعِبَ الديكُ حسن وجلَس يفكِّر وينظُر إلى السماءِ، وجلَس نديمٌ إلى جِواره حائرًا.

هُنا قَرَّر الجملُ ظريفٌ أنْ يَحكيَ قصتَه دُونَ اسْتئذانٍ ودُونَ انْتظارٍ، فقالَ: "كانَ هُناك وَلدٌ كبيرٌ يجلسُ تحتَ شجرةٍ كبيرة، فجاءتْ بنتٌ كبيرةٌ، وجلسَتْ معَه تحتَ الشجرةِ، وقرَّرَا أن يُغنِّيا أغنيةً طويلةً للغايةِ، وقد استمرَّت الأغنيةُ ثلاثَ ساعاتٍ وعِشرين دقيقةً وسَبعَ ثَوانٍ، وعندئذٍ ..."



قاطعتْه نور، وقالتْ: "هلْ هذه قصةٌ أمْ نشرةُ أخبارٍ؟ وعلَى كلِّ حالٍ، سَواء كانتْ قصةً أمْ نشرةً، فهِي ليستْ ظريفةً يا أستاذُ ظريف، اسْتمِعوا مِن فضلكم لقِصتى الرائعةِ .كان هُناك ولدٌ صغيرٌ يَجلس تحتَ شجرةٍ صغيرةٍ، وجاءتْ إليه بنتٌ صغيرةٌ، جلستْ معه تحت الشجرةِ، وقرَّرا أن يغنِّيا أغنيةً قصيرةً مِثل غَمْضة العَيْن، وخَفقةِ القلبِ ..."



قاطعها ياسرُ قائلاً : "مِثْلَ غَمضةِ العيْن وخفْقة القلْبِ وعَضَّة الكلْبِ! هل هذه قصةٌ أمْ لُغْزٌ؟ استمِعُوا من فضلكم لقصتى أنا شخصيّا.. كانَ هناكَ ولدٌ متوسطُ الحَجْم يَجلس تحتَ شجرةٍ متوسطةِ الحجمِ، ثم جاءتْ بنتٌ متوسطةُ الحجْم جلستْ تحتَ الشجرة، وقرَّرَا أنْ يغنِّيا معًا أغنيةً متوسطةَ الطُّول..."هنا قاطعه ظريف ونور قائلَيْن: "أهذه قصةٌ أمْ مأساةٌ؟ يسِّرْ ولا تعسِّرْ يا أستاذُ ياسر، يا متوسِّطَ الحجم".





ظلَّ الأطفالُ يتناقشُون، كلٌّ منْهم يؤكِّد أنَّ قصتَه هى الأجملُ، لو أتيحتْ له الفرصةُ لأنْ يَحكيَها حتى نهايتِها. وقال الديكُ حسن مغتاظًا: "كوكو كوكو". وسمعوا أمَّهم تناديهم ، إذْ بدأ المساءُ يُخيِّم على الأرضِ، وبدأتِ النجومُ تُطلُّ برءوسها الصغيرةِ.



وبعْدَ العَشاء، جَلس الأطفالُ فوقَ أرضِ
الحُجرةِ متْعَبِين، وتذكَّروا ما حَدث
على السَّطح، فابتسمُوا، وطلبُوا مِن
نديم أن يغنِّيَ معهم أغنيةً
قصيرةً. وفى وسَط الأغنيةِ،
غَلبَهم سلُطانُ النومِ،
فنامُوا جميعًا
كالملائكةِ.

